نشاط
الإرسالية الأمريكية العربية
للتبشير(*)
في شرق الجزيرة العربية

د. عبد الله ناصر السبيعي

كان من أهم سمات النشاط الأمريكي الخارجي خلال الفترة ١٨٤٧م - ١٩٤٤م التشجيع على ارسال البعثات التبشيرية المسيحية الى جميع أنحاء العالم، حيث تم ارسال بعثات عديدة الى الصين والفلبين وافريقيا طولا وعرضا تحقيقا لذلك. وحظيت تلك الارساليات التبشيرية بدعم من المؤسسات الدينية ورجال المال والأفراد(١)، كما نالت المباركة والتشجيع من الادارات الأمريكية المتعاقبة نظرا للتأثير القوي الذي كان يتمتع به رجال التبشير ومؤيدوهم. ثم ان النشاط التبشيري جاء في ذروة التوسع الاستعماري الأمريكي(٢) وخاصة في الصين والفلبين. وكان الهدف الرئيسي للمبشرين هو تنصير غير المسيحيين أو اغرائهم بالتحول عن معتقداتهم، وذلك باتباع وسائل شتى نتطرق اليها في الصفحات التالية:

وسوف نحاول في هذا البحث القاء بعض الضوء على تأسيس الارسالية الأمريكية العربية والأهداف المتوخاة من وراء ذلك مع التطرق لأساليبها وخططها للتغلغل الى عمق الجزيرة العربية تحقيقا لهدفها الأساسي دون التطرق بشكل واسع الى نشاطها في منطقة الخليج العربي الا حسبما تقتضيه هذه الدراسة.

انشاء الارسالية :

سبق انشاء الارسالية الأمريكية العربية رسميا عام ١٨٨٩م، فترة دار خلالها نقاش مكثف حول أهمية المبادرة **بنشر الديانة المسيحية في الجزيرة العربية. ففي عام ١٨٤٧م تبنى اتحاد مدارس الأحد الأمريكية The American Sunday School Union** فكرة تقضي بضرورة البدء بنشاط تبشيري في جزيرة العرب باعتبارها **«أكثر الأوطان قدسية وثباتا على دينها من أي قطر على وجه الأرض باستثناء فلسطين»**(٣)، وقد تمخض عن تلك التوصية ميلاد الارسالية الأمريكية العربية. وقد سارعت الكنيسة **الاصلاحية الهولندية الأمريكية .The Dutch Reformed Church** وهي كنيسة بروتستانتية بتبني مهمة القيام بذلك النشاط. ويعزى اقناع الكنيسة الهولندية بتبنيها للارسالية لجهود **البروفيسور لانسنج J.G. Lansing** الذي كان يدرس العربية والعبرية في المدرسة التابعة لتلك الكنيسة حيث أوضح أهمية ذلك النشاط باعتباره أول نشاط تبشيري لها في البلاد العربية(٤).

وهكذا فمن أجل غزو الاسلام في عقر داره، تقرر انشاء الارسالية الأمريكية العربية عام ١٨٨٩م التي اتخذت من مدينة **«نيوبرونزويك» New Brunswick** في ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية مقرا لها. وضمت بالاضافة الى مؤسسها (لانسنج) ثلاثة من تلامذته المتحمسين لنشاطها وهم **جيمس كانتين James Cantine ، وصموئيل زويمر Samuel Zwemer ، وفيليب فليبس Philip T. phelps**(٥) ومنذ البداية وضع المؤسسون في اعتبارهم صعوبة العمل وضرورة التخطيط السليم والتمييز في أسلوب عمل البعثة عن أساليب عمل البعثات الأخرى نظرا لكون المنطقة مهبط الديانة الاسلامية وقلب العالم العربي، ثم ان شدة تمسك سكانها بدينهم الاسلامي سيدفعهم لمقاومة نشاط الارسالية التبشيري متى ما تكشف لهم المخطط الرئيسي وخاصة في وسط الجزيرة العربية.

عملت الارسالية منذ البداية على اعداد تصور عام لكيفية بدء نشاطها الفعلي في الجزيرة العربية وفقا للمعلومات المتوفرة لديها. وبدا لها أهمية تكثيف جهودها من أجل النفاذ الى وسط الجزيرة العربية مستغلة الأوضاع السيئة

السائدة آنذاك حيث عم الجهل، والفقر علاوة على تفكك الوحدة السياسية القائمة حينذاك، وسيطرة بريطانيا على الساحلين الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية.

وقد لخص (زويمر) ذلك التصور المبدئي بقوله: يمكن تقسيم شبه الجزيرة العربية الى ثلاث مناطق. المنطقة الأولى تشمل الأجزاء الخاضعة للنفوذ البريطاني وخاصة عدن وعمان والبحرين والكويت، وقد بدا للارسالية بأنها سهلة الوصول اليها وأكثر المناطق حرية للعمل نظرا للوجود البريطاني الذي لا يشكل عراقيل أو عقبات في وجه المبشرين، وذلك بعكس المناطق الواقعة تحت النفوذ العثماني. أما المنطقة الثانية فانها تشمل الأجزاء الواقعة تحت الادارة العثمانية وتشمل الحجاز واليمن والاحساء والقطيف. واعتقدت الارسالية امكانية مزاولة نشاطها بها وخاصة في المدن ذات الكثافة السكانية مثل جدة والحديدة وصنعاء والهفوف والقطيف، الا أنها كانت تدرك مدى تأثير الضوابط التي يضعها العثمانيون للتصدي للتبشير كضرورة الحصول على اذن بالاقامة وعدم الجهر بالتبشير وفرض الرقابة على المطبوعات مع الزام أطبائهم بضرورة الحصول على دبلوم طب تركية قبل السماح لهم بممارسة العمل الطبي. وتشمل المنطقة الأخيرة المناطق المستقلة في الجزيرة العربية مثل نجد وجبل شمر وعسير ونجران التي لم يتوفر للارسالية معلومات كافية عنها، ولذلك فانها اعتبرت أدراجها ضمن مخطط عملها مغامرة قبل أن تتمكن من ايفاد مبعوثين خاصين يجمعون لها معلومات متكاملة يمكن على ضوئها تقرير امكانية العمل من عدمه(٦). وبناء على ذلك التصور بدا للمسئولين عن الارسالية أن المنطقة الأولى هي الأنسب لبدء نشاطها التبشيري.

أتمت الارسالية الأمريكية العربية استعداداتها عام ١٨٨٩م بعد اعتمادها رسميا للهدف الرئيسي من وراء تكوينها وهو محاولة الوصول الى مسلمي وسط الجزيرة العربية، وقد كشف جيمس كانتين عن ذلك الهدف بقوله: «ان هدفنا النهائي هو الهيمنة على وسط الجزيرة العربية»(٧). وقد اعتبر ذلك الهدف شعارا للارسالية وحافزا لأفرادها للعمل حثيثا لتنفيذه، ادراكا منهم أن تحقيقه سوف يكون انجازا فريدا وحدثا هاما في تاريخ التبشير المسيحي يفوق أي انجاز آخر يؤمل في تحقيقه من وراء ارسال البعثات التبشيرية الى مختلف أنحاء العالم.

ولبدء وضع مخطط الارسالية موضع التنفيذ فقد كلفت أحد مؤسسيها جيمس كانتين بمغادرة أمريكا في ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٨٨٩ الى سوريا ومنها الى السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية، وذلك من أجل اختيار الأماكن المناسبة لبد، عمل الارسالية. وفي طريقه الى سوريا توقف كانتين في ادنبرة باستكلندا للتشاور مع The Free Church of Scotland Committe. حول امكانية السماح للارسالية بالعمل من خلال مركز تلك الكنيسة الموجود آنذاك في عدن. وقد رحبت الكنيسة الاسكتلندية بذلك ولكنها أبدت أنه من الأفضل استقلال الارسالية بنشاطها قدر المستطاع. وفي ٢٨ يونيو (حزيران) ١٨٩٠م كلفت الارسالية **صموئيل زويمر بالالتحاق بكانتين في سوريا**، ومن ثم التوجه الى القاهرة لأخذ التوجيهات اللازمة من (لانسنج) الذي كان آنذاك في القاهرة في رحلة خاصة(٨).

غادر (كانتين)القاهرة الى عدن في ١٨ ديسمبر (كانون أول) ١٨٩٠م، ولحق به (زويمر) في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٨٩١. ومن عدن افترقا في رحلتين للبحث عن مواطىء قدم للارسالية. فبينما توجه زويمر الى اليمن، مضى كانتين الى لحج ومنها واصل طريقه في رحلة استطلاعية لسواحل الخليج العربي، حيث زار مسقط والبحرين والبصرة، وانتهى به المطاف في بغداد(٩).

وتعد زيارة كانتين تلك بمثابة الانطلاقة الفعلية لبدء عمل الارسالية في الجزيرة العربية. فبعد دراسة ومفاضلة للأماكن التي زارها بدا له بأن البصرة(١٠) هي أفضل مكان يمكن أن تنطلق منه الارسالية نحو تحقيق أهدافها التبشيرية، وذلك لكثافة سكانها وسهولة الوصول اليها، وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن بقية الأماكن التي زارها خاصة وأنها قد تسهل مهمة النفاذ الى عمق الجزيرة العربية، ويتجلى ذلك من رسالة بعث بها كانتين الى مقر الارسالية يبرر فيها اختياره للبصرة بقوله: «**يبدو أن هذا المكان (البصرة) هو الأنسب لفتح ثغرة نحو الهدف**»(١١).

ولتحقيق الآمال المعقودة على تأسيس الارسالية وضمانا لتحقيق مخططاتها، فقد حرصت على انتقاء أفرادها بعناية فائقة، فاختارت من يمتاز بحماس فائق لنشر الدين المسيحي، ويلم بخلفية كافية عن تاريخ المنطقة وظروفها، حيث

حاولت منذ البداية حصر عضويتها في أشخاص تميزوا بثقافتهم الدينية والمامهم بالدراسات العربية والاسلامية(١٢). هذا وقد تم ارسال الأفواج الأولى من مبشريها الى بيروت كمحطة مؤقتة يتم خلالها اتصالهم بالبعثات التبشيرية العاملة هناك، وبغرض الالمام باللغة العربية والافادة من دراسات البعثات المسيحية السابقة وتجاربها والتعرف على خصائص المجتمع العربي(١٣).

ظلت البصرة ولفترة وجيزة القاعدة الرئيسية لنشاطهم التبشيري في شرقي الجزيرة العربية، الا أنهم أدركوا بعدئذ أن تركيزهم على البصرة الواقعة تحت الادارة العثمانية قد لا يتيح لهم تنفيذ مخططاتهم مما جعلهم بالتالي يقررون توسيع نشاطهم وذلك بافتتاح أربعة مراكز جديدة للارسالية في كل من البحرين عام ١٨٩٢م، ومسقط عام ١٨٩٣م **والكويت عام ١٩١٠م وأخيرا المحمرة، كما أنهم حاولوا افتتاح مركز لهم في قطر، الا أن محاولتهم تلك باءت بالفشل**(١٤).

ومما سهل مهمة افتتاح المراكز الرئيسية في الخليج العربي انتماء السلطات البريطانية المهيمنة على الخليج في ذلك الوقت الى المذهب البروتستانتي، وهو المذهب الرسمي لبريطانيا عموما. وقد يبرر تسهيل بريطانيا لمهمة الارسالية برغبتها في استخدام مبشريها في خدمة أغراض بريطانيا الاستعمارية في المنطقة. كما **أن انزعاج بريطانيا البالغ من تعاظم تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ومحاولاتها للتصدي لها**، وخاصة بعد أن لمست مدى تأثيرها على مسلمي الهند الذين بدأوا في التصدي للوجود البريطاني من منطلق اسلامي، يمكن ايراده كعامل مؤثر في عدم ممانعة بريطانيا لنشاط الارسالية، ولا سيما وأن تعاظم تأثير الدعوة السلفية قد أجبر بريطانيا – كما ذكر زويمر – الى المسارعة بارسال موفدين من قبلها الى وسط الجزيرة العربية لدراسة أسس الدعوة وأهدافها عن كثب(١٥).

ومما ساعد مهمة الارسالية أن بدء نشاطها قد جاء في فترة ضعف الدولة العثمانية وتعاظم نفوذ الدول الأوربية وتداخلها في شئونها الداخلية. الا أن العثمانيين – بالرغم من ذلك الضعف – حاولوا التصدي قدر الامكان لنشاطات المبشرين، فقد ذكر (زويمر) أن السلطات العثمانية في البصرة قد قامت عام ١٨٩٢م باعتقال موزعي الانجيل التابعين للارسالية واقفال حوانيتهم

ومصادرة كتب الارسالية مع وضع حراسة على مدخل المبنى الذي تشغله الارسالية(١٦)، وأنهم كرروا نفس الاجراءات في عام ١٨٩٤م(١٧). غير أن تمتع مبشري الارسالية بالجنسية الأمريكية وتدخل حكومتهم وضغطها المستمر على السلطان العثماني أضعف موقف العثمانيين، اضافة الى أن العثمانيين كانوا يركزون جل جهودهم للتصدي لبريطانيا، باعتبارها عدوتهم الأولى في المنطقة.

وقد أجمل **الدكتور عبد الملك التميمي** ود الحكومة العثمانية الرامية الى احباط مخططات المبشرين أو على الأقل الحد من تأثيرها بقوله: **«كان اعتراض السلطات العثمانية الرئيسي هو أن أطباء الارسالية يجب أن يحصلوا على شهادة دبلوم تركية في الطب، ليسمح لهم بمزاولة العمل هناك.. وكان موقف السلطات العثمانية من المبشرين لا يسمح لهم بمهاجمة الدين الاسلامي أو القاء الخطب في الأماكن العامة أو طبع وتوزيع منشورات تشكك في الاسلام.. وقد سبب هذا الموقف بعض المتاعب للارسالية ولكنها لم تكن من الخطورة بحيث تهدد العمل التبشيري»**(١٨).

أساليب الارسالية للتغلغل الى وسط الجزيرة العربية :

كثفت الارسالية نشاطها من خلال مراكزها الثلاثة في البحرين ومسقط والكويت، حيث كانت تخطط لاستخدامها كمنطلق يسهل منها النفاذ الى وسط الجزيرة العربية لتنفيذ خططها الرامية الى تنصير سكانها، أو على الأقل زعزعة معتقداتهم. وقد ركزت وبشكل أكبر على مقرها في البحرين كمرتكز أساسي يمكن الوصول منه الى قلب الجزيرة العربية مستغلة موقعها الاستراتيجي الهام، حيث كانت آنذاك الميناء الرئيسي الذي يمون الاحساء والقطيف ونجد بالبضائع التجارية، ولكثرة القادمين الى البحرين من الجزيرة العربية نظرا لقرب المسافة ولوقوعها في الطريق الى الهند التي كانت مقصدا للكثيرين من سكان الجزيرة العربية آنذاك طلبا للتجارة والعمل.

اعتمدت الارسالية خطة مدروسة تتفق وظروف المنطقة وتهدف الى تمكينها من تحقيق أهدافها. ويمكن أن نحصر وسائل تبشيرها عموما في أسلوبين متميزين هما: الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر. وسنبحث في الصفحات التالية بشيء من التفصيل منهج الارسالية في تطبيقها للأسلوبين المذكورين:

الأسلوب غير المباشر :

ابتدأت الارسالية نشاطها بتركيزها على الأسلوب غير المباشر حرصا منها على عدم اثارة الشكوك حول وجودها في المنطقة، وذلك بتقديمها خدمات طبية وتعليمية واجتماعية حرمت منها المنطقة آنذاك، وكانت تأمل أن يؤدي ذلك الى ترحيب السكان بها وثقتهم بخدماتها، ومن ثم يمكن استخدامها كمنطلق لنشاطها التبشيري السافر.

أ – استخدام الطب لخدمة الأغراض التبشيرية :

وخشية أن يثير وجود الارسالية ونشاطها شكوك السكان في المنطقة خاصة وهي تعلم شدة تمسكهم بدينهم، فقد حرصت منذ البداية على أن تبدأ عملها بتقديم الخدمات الطبية التي أثبتت تجارب الارساليات التبشيرية السابقة في البلاد الاسلامية مدى نجاحها وجدواها كوسيلة هامة لاقناع السكان المحليين بقبول الارسالية وأهمية خدماتها. وقد أوضح (زويمر) تلك الأهمية بقوله :

«ان التجارب التبشيرية للارساليات المسيحية في البلاد الاسلامية الأخرى كالبنجاب وشمال افريقيا وجاوه والبلاد المشابهة للمنطقة التي تعمل فيها الارسالية الأمريكية العربية قد أثبتت مدى قوة ومكانة المراكز الطبية كوسيلة مؤثرة للتبشير وخاصة في حالة توفر الأطباء الجراحين»(١٩) **ويؤكد الدكتور بول هاريسون** – أحد الأطباء العاملين مع الارسالية على أهمية تركيز المبشرين على استغلالهم المراكز الطبية كمشروع مسيحي تبشيري قبل كونه مشروعا طبيا انسانيا بقوله : **«ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها. لقد وجدنا نحن في الجزيرة العربية لنجعل رجالها ونساءها نصارى»**(٢٠) وانطلاقا من تلك الأهمية فقد أسست الارسالية أكبر مستشفياتها وأشهرها في مدينة المنامة بالبحرين في مطلع القرن العشرين والمسمى **The Mason Memorial Hospital** ودعمته بعدد من الأطباء المتحمسين لأهدافها ومخططاتها ومدتهم بجهاز طبي متكامل يكفل له النجاح والشهرة يقينا منها بأن شهرته سوف تسترعي انتباه العديد من سكان شرقي الجزيرة ووسطها وتجعلهم يفدون اليه طلبا للعلاج وقد تحقق لهم

ذلك الهدف بمرور الزمن وخاصة في ظل انعدام وجود رعاية صحية محلية تضاهي خدمات مستشفاهم. فقد ورد في تقرير ذلك المستشفى لعام ١٩٢١م **«ان أطباءه قد أجروا ٥٠٣ عمليات جراحية، وعالجوا ما يزيد على ٦٠٠٠ مريض راجعوا المستشفى خلال ذلك العام»** وأضاف التقرير **«وبالاضافة الى ذلك فقد قام بعض أطباء المستشفى بزيارات علاجية للرياض والهفوف والظهران والقطيف وقطر، وأمضى بعضهم ما يزيد على شهرين في ساحل عمان»**(٢١).

وبناء على النجاح الذي أحرزه ذلك المستشفى حيث اتسعت دائرة مراجعيه لتشمل الاحساء والقطيف وبعض الأفراد من نجد، ومراعاة للتقاليد المحلية ورغبة في استخدام مجال الطب بشكل أوسع، قررت الارسالية تأسيس مستشفى جديد خاص بالنساء أطلقت عليه اسم **The Mason Memorial Hospital for Women** افتتحه رسميا **عام ١٩٢٧م**، ودعمته بجهاز طبي متكامل.

ولما كانت منطقة الاحساء ذات كثافة سكانية كبرى، ولقربها من البحرين وسهولة الوصول اليها عن طريق ميناء العقير النشط آنذاك، فقد فكر رجال الارسالية في ادماجها ضمن منطقة نشاطهم التبشيري يقينا منهم بأن ذلك سوف يساعدهم على تسهيل تنفيذ أهداف مخططهم في الوصول بنشاطهم الى عمق الجزيرة العربية. ولدراسة امكانية تنفيذ ذلك فقد زارها **(زويمر) في شهر أكتوبر** (تشرين أول) **عام ١٨٩٣م قادما من البحرين عن طريق ميناء العقير. ورافق الى الهفوف تاجرا من نجد أسماه صالح.**

أقام **(زويمر) في الهفوف** مدة أربعة أيام قضاها في جمع المعلومات التي جاء من أجلها. ويذكر أنه قابل نائب الحاكم التركي **(عبد الرحمن بن سلامة)** الذي أجابه على بعض تساؤلاته، ومنها أفادته عن المسافات بين الاحساء وكل من الرياض ووادي الدواسر وجبل شمر ومكة(٢٢). وأثناء اقامته تلك رسم (زويمر) مخططا لمدينة الهفوف صحح بموجبه المخطط الذي سبق وأن رسمه بلغريف للهفوف عند زيارته لها عام ١٨٦٢م(٢٣). وقبل عودته للبحرين قام بزيارة كل من القطيف والكويت. ويبدو أن حصيلة تلك الزيارة لم تكن مشجعة لزويمر، حيث أبدى بعض التخوف من رد فعل العثمانيين في حالة اقدام الارسالية على القيام

بنشاط تبشيري في الاحساء. الا أن ذلك لم يثن الارسالية عن مواصلة جهودها الرامية الى مد نشاطها الى الاحساء. ففي ١٤ أغسطس (آب) ١٨٩٤م، أوعزت الارسالية لزويمر أثناء وجوده في اليمن بمعاودة زيارة الهفوف مرورا بنجران ووادي الدواسر. لكن سرقة نقوده ومعارضة العثمانيين حالت دون اتمام الرحلة(٢٤). **وقد جاء استرادا الملك عبد العزيز(٢٥) للاحساء من العثمانيين عام ١٩١٣م ليقضي على آمال الارسالية في امكانية ايجاد موطىء قدم لها فيها.**

ونظرا لما كان بين سكان الاحساء والبحرين من روابط تاريخية وأسرية وتجارية يسرت سبل الاتصال الدائم بينهم، فقد لمس سكان الاحساء مدى جدوى الأساليب الحديثة وبالتالي كثرت زياراتهم العلاجية للبحرين، الا أن عدم قدرة الكثيرين منهم ماديا على تحمل مصاريف السفر والاقامة في البحرين دفعهم الى الالتماس من الملك عبد العزيز بدعوة بعض الأطباء لزيارة الاحساء تسهيلا لهم وتوفيرا للعلاج محليا.

وادراكا من الملك عبد العزيز لفائدة الطب الحديث ورغبة في التسهيل على مواطنيه رأى أنه يمكن دعوة بعض أطباء المستشفى المشهورين كلما اقتضت الحاجة القصوى شريطة أن يتم تنسيق زياراتهم مسبقا مع ممثل الملك في البحرين مع التأكيد على رفضه الحاسم بالسماح لهم بتأسيس مراكز طبية دائمة أو اقامتهم فترة تجاوز فترة العلاج للحالات المعروضة عليهم، وذلك بلا شك ناتج عن شك جلالته في دوافعهم وتخوفه من النتائج المترتبة على طول اقامتهم والتي قد تحقق بعض أهدافهم التبشيرية.

وكان أول الأطباء الذين زاروا الاحساء عام ١٩١٧ بدعوة شخصية من الملك عبد العزيز، هو الدكتور بول هاريسونDr. Paul W. Harrison وكررت له الدعوة عام ١٩١٨م وبعد ذلك التاريخ تكررت زيارته كلما اقتضت الحاجة، وكان يقيم أثناء تلك الزيارات في المبنى المسمى بالرشدية وهو مبنى حكومي قديم كان يستخدم مدرسة منذ أيام الحكم العثماني. وفي عام ١٩٢٠م، دعا **الملك عبدالعزيز الدكتور لويس ديم Dr. Louis P. Dame** وهو طبيب جراح ماهر ذاعت شهرته وتلا تلك الزيارات زيارات متعددة، وكان ينزل عادة في منزل **السيد صالح اسلام مدير مالية الاحساء**(٢٦). وكان آخر أطباء المستشفى

الذين دعوا لزيارة الاحساء هو **الدكتور هارولد ستورم Dr. Harold W. Storm** والذي جاء اليها عام ١٩٤٣، وأقام في منزل **الشيخ عبد الرحمن القصيبي**. وكان يرافقهم أثناء وجودهم في الاحساء فريق طبي يمكنهم من اجراء العمليات الجراحية والعلاجية. ومما لا شك فيه أن أولئك الأطباء قد قدموا خدمات طبية جيدة ولم يثبت أنهم حاولوا أثناء زياراتهم للاحساء القيام بأي نشاط تبشيري(٢٧).

ورغبة في توفير العناية الطبية وخاصة في مجال الجراحة التي لم يكن في المستطاع توفيرها في نجد آنذاك، فقد دعا الملك عبد العزيز بعض أطباء المستشفى المشهورين في مجال الجراحة لزيارة الرياض من وقت لآخر. وقد شجع الملك عبد العزيز على تلك المبادرات الفائدة التي لمسها المواطنون في الاحساء، وعدم تعرض الأطباء لما يمس العقيدة الاسلامية. ومن أولئك الأطباء الذين دعوا الى الرياض الدكتور بول هاريسون آنف الذكر الذي قام بأول زياراته للرياض عام ١٩١٧م ثم عاود الزيارة عام ١٩١٩م. وقد قام هاريسون خلال زيارتيه القصيرتين باجراء بعض العمليات الجراحية ومعالجة العديد من المرضى في مدينة الرياض أو ممن أحضرهم الملك عبد العزيز من خارجها.

وفي عام ١٩٢١م استدعى الملك عبد العزيز الدكتور ديم والذي ذاعت شهرته في مجال الجراحة لزيارة الرياض، ثم تكررت الدعوة عام ١٩٢٤ وقد قام الدكتور ديم خلالها بمعالجة ٥٥٢ مريضا واجراء العديد من العمليات الجراحية. وكانت زيارته الثالثة والأخيرة للرياض في عام ١٩٣٣م، وفي تلك الرحلة صحبته زوجته. وبما أن تلك الزيارات للرياض كانت تتم على ظهور الجمال وهو أمر لم يتعود عليه الأطباء ومساعدوهم **فقد روى أنه أثناء رحلة ديم الأخيرة للرياض، وعند نهوض الجمل المحمل بالأدوات الطبية سقط ميكروسكوب طبي وتحطم مما أحنق ديم كثيرا**(٢٨).

وبالرغم من أن بعض أطباء الارسالية اتيح لهم زيارة المملكة الا أن تلك الزيارات كانت تتم بدعوات شخصية من الملك عبد العزيز، وحسب ترتيبات مسبقة تمليها الحاجة الماسة، ومن أجل توفير الرعاية الصحية المتقدمة للمواطنين ولفترات محددة لا تتعدى في معظمها أكثر من شهرين. ورغم حرص الارسالية

على سرعة تلبية الدعوات التي تتلقاها من الملك عبد العزيز، واختيارها لأشهر أطبائها مع تجنبهم لاثارة شكوك المسؤولين، وذلك بتركيزهم على الجانب العلاجي فقط.

إن اصرار الملك عبد العزيز على رفض السماح لها بتأسيس مراكز ثابتة في بلاده أو منحهم حرية الزيارة للمملكة قد أحنق المسؤولين عن الارسالية حيث بدا أن آمالهم في التغلغل الى وسط الجزيرة العربية أمر ميئوس منه، وأخذوا ينظرون الى المملكة العربية السعودية كمنطقة حرموا من حرية العمل في أراضيها. وبدأ يتجلى لهم جهلهم التام بالأوضاع السائدة في الجزيرة العربية، حيث تكشف لهم مدى اختلاف النظام السياسي المطبق في المملكة عن الأنظمة الأخرى، وذلك من حيث اعتماده على تطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وتبنيه لها واقرار الملك عبد العزيز لمشروع توطين البادية وتثقيفهم دينيا. وان نظاما يترکز على مثل تلك القاعدة العقائدية القوية يصعب خداعه والتغلغل في أرضه.

ب – التعليم والفن ونشاطات الكنيسة :

لم ينحصر نشاط الارسالية غير المباشر للتبشير على المجال الطبي بل تعداه ليشمل مجالات متعددة. ففي المجال التعليمي والثقافي أعطت الارسالية أهمية كبرى للنواحي التعليمية بشكل متميز، وخاصة في المجالات التي لا تستطيع الحكومات المحلية توفيرها لمواطنيها أو منافستها في تقديمها. ففي الكويت مثلا أنشئت مدرسة خاصة لتعليم المكفوفين باستخدام **طريقة برايل**. وقد أوكل أمر تلك المدرسة الى **الممرضة جوزفين بيرسم** **Josephine Van Peursem** وزوجها القس جرت بيرسم **Gerrit Van Peursem** (٢٩) كما انشئت دور خاصة لرعاية الأيتام في كل من **البحرين ومسقط والكويت**، وكانت تحرص على تبني اللقطاء والحاقهم بتلك الدور. واهتمت بتأسيس المكتبات العامة التي زودت بالعديد من الكتب التي تختارها بعناية فائقة لخدمة أغراضها التبشيرية، مع حرصها على اهداء النشرات والملصقات ونسخ من الاناجيل لزوار تلك المكتبات(٣٠). وقامت بتشييد كنائس في مراكز الارسالية واحاطتها بجل اهتمامها مع التركيز

على دعوة السكان لمشاهدة الطقوس والصلوات والحفلات التي تقام بها. وكانت تعمد وبشتى الصور والمغريات الى دعوة المواطنين لحضور صلاة يوم الأحد بشكل خاص، فقد ورد في أحد تقارير الارسالية الصادرة من مسقط أنه في عام ١٩٢٩م بلغ عدد الأشخاص الذين يحضرون الى الكنيسة يوم الأحد لمشاهدة الطقوس الدينية التي تجري في الكنيسة خمسين شخصا، وان أغلبهم قد جاء بدافع حب الاستطلاع(٣١) كما اهتمت الارسالية بأن تضم بين رجالها عددا من النحاتين والرسامين الذين تفرد لهم حوانيت صغيرة يقومون فيها بصنع عدد من التماثيل للسيد المسيح ومريم العذراء ورسم صور دينية يقومون بعرضها وبيعها بأسعار رمزية.

وقد تميز مركزا البحرين والكويت بذلك النشاط الفني، غير أن سكان الكويت قد أبدوا اشمئزازهم لذلك النشاط وتصدوا له بتمزيقهم للصور وبتحطيم التماثيل المعروضة في واجهة الحوانيت(٣٢). وقد جاء في أحد تقارير الارسالية الصادر من البحرين ما يدل على رواج تلك الأعمال الفنية الدعائية، فقد ذكر أنه في ختام السنة الأولى لافتتاح مركزهم سنة ١٨٩٢م – ١٨٩٣م، ثم بيع مئتي قطعة، وبنهاية سنة ١٨٩٩م قفز العدد الى ٢٤٦٤ قطعة(٣٣).

ومما يدل على تصميم الارسالية على تنفيذ مخططاتها، قيامها بتوسيع نشاطاتها وتكثيف جهودها واستخدامها عددا كبيرا من العاملين الرسميين في مراكزها، حيث بلغ عددهم في عام ١٩٣٠م ثمانية وثلاثين فردا يعملون في المستشفيات والمؤسسات الأخرى، حيث كان أهم واجباتهم عرض شرائح مصورة للمسيح على المترددين على مراكز الارسالية(٣٤).

ولتعذر ممارسة الارسالية لأي من نشاطاتها داخل الجزيرة العربية، فقد حرصت على تصيد من يراجع مستشفياتها من سكان المملكة ومحاولة اغرائهم بحضور نشاطاتها أو شراء شيء من أعمالها، وبالرغم من ذلك فقد ضاعت جهودهم هباء.

٢ – الأسلوب المباشر :

لم تستمر الارسالية في اخفاء نواياها وخططها التبشيرية حيث حرصت من خلال مبشريها على انتهاز الفرص السانحة لنفث سمومها. ويتجلى انتهاج الارسالية

للأسلوب السافر في محاولة تشكيك مسلمي الجزيرة العربية في دينهم في أقبح صوره في الملصق الدعائي الذي صممه وأصدره **صموئيل زويمر عام ١٨٩٧م في عمان** واستهل به عمل المطبعة اليدوية التي أنشأتها الارسالية في مسقط وطبع باللغتين العربية والانجليزية والذي قال فيه بالنص «**محمد والمسيح على أي منهما تعتمد**»(٣٥) وقد أثار توزيعه في عمان غضب واحتجاج السكان كما بادر السلطان العثماني الذي أحنقه ذلك الهجوم الدنىء على مشاعر المسلمين بالاحتجاج الرسمي لدى وزارة الخارجية الأمريكية التي نصحت زويمر بالتخلي عن توزيعه(٣٦).

كما تمثل ذلك الأسلوب في حرص الارسالية على استمرار خدماتها الطبية في أوقات الصلاة وخاصة صلاة الظهر والمغرب رغبة منها في أن تصرف مراجعيها عن اقامة الصلاة في حينها، وأملا في أن يؤدي ذلك الى خلق عادة التهاون في اقامة الصلاة جماعة في المساجد ويمكن ارجاع انتهاج ذلك الأسلوب الى قناعة المبشرين بحتمية فشل أسلوبهم التبشيري المباشر في تنصير مسلمي الجزيرة ووجوب تركيز جزء كبير من جهودهم على اضعاف الوازع الديني لدى المسلمين أملا في أن يؤدي ذلك في النهاية الى زعزعة المسلمين في عقيدتهم على الأقل.

ويتجلى ذلك الأسلوب في حرص الارسالية على توصية مبشريها بالتعرض للناس في الشوارع والتجوال بين المدن وحثهم على مخالطة الناس في المقاهي الشعبية والحرص على ارتياد مجالس الشيوخ العامة والتركيز على استخدام أسلوب الجدل(٣٨). ولايضاح الأساليب التي يجب على مبشريها انتهاجها عمدت الارسالية الى توزيع دليل ارشادي للتبشير في البلاد الاسلامية ألفه **آرثر برنكمان Arthur Brinckman** وأسماه Notes on Islam: A Handbook for Missionaries. وخاصة بعد أن تبين للارسالية جدوى الاستفادة منه في عملها في شرقي الجزيرة العربية، ولا سيما فيما يتعلق بكيفية التأثير على السامعين حيث ينصح المؤلف المبشر بأن: «**يحاول أن يخاطب مستمعيه قدر الامكان من مكان مرتفع، وأن يتخذ وضعية الجلوس بدلا من الوقوف وأن يحتفظ برباطة جأشه بحيث لا يبدو منفعلا أو مثارا من جراء حرارة النقاش، لأن الموقف لا يتطلب مواجهة حامية**». ويستمر برنكمان في نصحه بقوله:

«يجب أن يسند المبشر ظهره الى جدار وذلك لأسباب عدة. وأنه عندما يضطر المبشر الى الدخول في مناقشة دينية فعلية الاستمرار في تلاوة الدعوات الدينية والتحدث ببطء وتأثير. كما أن عليه عدم التسرع في الاجابة لأنه حين يفعل ذلك فانه سوف ينظر اليه كمجرد مجادل عنيد». ويختم نصائحه بقوله: «ينبغي أن تفكر بتأن في اجابتك ومن ثم طرحها بهدوء وبطء واذا كان ممكنا فانه ينبغي أن تبدأ اجابتك أو تنهيها باقتباس من آيات القرآن. وإياك والتردد في ايراد ذلك الاقتباس»(٤٠).

يتضح من تلك النصائح وخاصة فيما يتعلق بالتركيز على ايراد بعض آيات من القرآن الكريم، مدى خبث المبشرين وتضليلهم اذ أنهم وبدون شك سيحصرون اقتباسهم على الآيات الكريمة التي يرد فيها ذكر عيسى عليه السلام أو التي تشير الى الديانة المسيحية.

ومن الأساليب الأخرى التي انتهجتها الارسالية وحرصت على تطبيقها في جميع مراكزها – وخاصة في البحرين، حيث يكثر بها الوافدون لمراجعة المستشفى من المملكة – استخدامها لغرفة الانتظار والكشف في المستشفيات كبؤرة للتبشير، أن التركيز على عيادات المستشفيات يعود الى قناعتهم في جدواها، حيث ينفرد وجها لوجه بالمريض الذي يكون في حالة شد نفسي لما سيلقى عليه. وقد عبر عن ذلك رشتر بقوله: **«في هذه المناسبات من التطبيب في مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظا وغضبا»**(٤١).

واستغلالا لتلك الفرص شحنت الارسالية معنويات أطبائها وحذرتهم من تمسكهم بالمفاهيم والأعراف الطبية التي تحول دون قيامهم بمثل ذلك النشاط الديني المباشر، فقد نصحتهم السيدة ايرا هاريس بأنه **«يجب أن ينتهزوا الفرص للوصول الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز**(٤٢) **لهم بالانجيل. واياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فانه أثمن تلك الفرص على الاطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه»**(٤٣) **وقد نتج عن تطبيق ذلك الأسلوب**

تحويلهم غرفة الانتظار في المستشفيات الى قاعة محاضرات للتبشير مع الزام كل مريض يراجع الأطباء بضرورة المرور من خلالها. وقد عهدت بالقاء تلك المحاضرات الى نفر من المسيحيين العرب وخاصة العراقيين الذين كان لتشابه لهجتهم مع اللهجة السائدة في الخليج، ومعرفتهم بكيفية التأثير على السكان أملا من الارسالية بأن يؤدي ذلك على التأثير على مشاعر وعواطف المراجعين.

وعن استخدام قاعة الانتظار، روى لي سعادة الشيخ عبد الله بنعبدالرحمن الشعيبي مساعد مدير التعليم بالاحساء سابقا، انه كان في زيارة لمستشفى البحرين لمرض ألم به، وفوجيء باصرار المسئولين في المستشفى على ضرورة مروره بقاعة الانتظار كشرط أساسي للسماح له برؤية الطبيب المعالج. وفي تلك الغرفة التي كانت تكتظ بعديد من المراجعين، دخل في نقاش ديني ساخن لم يرق للمحاضر العراقي مما جعله يبادر فورا بادخاله على الطبيب، مع أنه كان آخر المراجعين حضورا مكتفيا باعطائه نسخة من الانجيل.

وأضاف **الشيخ الشعيبي** بأنه بعد خروجه من غرفة الطبيب بدا له قيام ذلك الحاضر بمراقبته، وتأكد له ذلك حين نزع **الاستاذ الشعيبي** ورقة من الكتاب الذي لا يزال في يده ليضع فيها الأقراص الطبية، حيث سارع اليه مبديا معارضته وطالبا منه الانصراف، خشية أن يؤثر سلوكه هذا على بقية الموجودين في المستشفى. ومن الطريف أنه خلال الأيام التالية لتلك الحادثة، وأثناء تردد **الأستاذ الشعيبي** لاتمام علاجه، كان ذلك المحاضر يبادر بادخاله على الطبيب بمجرد رؤيته متجنبا مروره بغرفة الانتظار.

وداخل غرفة الكشف الطبي، حرص الأطباء على انتهازها فرصة للتبشير فعمدوا الى اطالة مدة الفحص الطبي وذلك باثارة نقاش ديني بينهم وبين المرضى. وكانوا يركزون على الشباب والسذج من الناس. ومما يروى في هذا الصدد الجدل المشهور الذي دار بين أحد الأطباء وأحد المراجعين، يتلخص في أن الطبيب وكعادته في اثارة المناقشات الدينية بادر المريض قائلا انكم يا معشر المسلمين، وحسب ما ورد في كتابكم تؤمنون بأن الله أنقذ عيسى من القتل، وأنه حي يرزق عند ربه وتؤمنون بأن نبيكم قد مات، فمن في رأيك أكثر فائدة

الحي أم الميت؟ وهنا بادره المريض قائلا ولكن كتابنا نص على أن عيسى بشّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، فهل هذا هو عيسى الذي تقصده؟ وهنا أسقط في يد الطبيب حيث أجاب بالنفي وأنهى النقاش وعلاج المريض(٤٤). ومن الأمثلة الأخرى لما كان يدور في غرف الأطباء ترديدهم بأن دينهم يأمرهم بأن يكونوا نظيفي القلب والمظهر، دائما بينما الدين الاسلامي لا يأمر بالنظافة الا عند اقامة الصلوات الخمس. وهذا قول مردود وجهل فاضح بما يأمر به الاسلام، وفيه دس وخبث يمكن أن ينطلي على بعض السذج من الناس وخاصة في تلك الفترة التي عم فيها الجهل مع عدم معرفة كثير من السكان لدوافع الأطباء الحقيقة من وراء اثارتهم لتلك النقاشات.

ومما يرويه الناس ممن عاصروا تلك الحقبة، حرص الأطباء على حسن مظهرهم واعتنائهم الفائق بنظافة ملابسهم، مع تركيزهم على اللون الأبيض والتعطر بأحسن الروائح، ومما يروى عن **الدكتور ستوم** الذي كان آخر من زار الاحساء من أطباء الارسالية التزامه بارتداء الزي العربي وحرصه على ارتداء العباءة العربية واطلاقه للحيته الكثة، مما أضفى عليه هيبة ووقارا بين مراجعيه. ولا شك أن ذلك كان أحد الأساليب التي أوصت الارسالية أفرادها بالحرص عليه.

ومن الأساليب الأخرى تركيز الارسالية على اقامة النوادي الرياضية وتأسيس الفرق الكشفية والجمعيات المتعددة. ويتضح من استغلال الارسالية لهذا الأسلوب التبشيري وخاصة بعد خيبة أملها في موافقة **الملك عبد العزيز** للسماح لها بأن تمارس في بلاده نشاطا مماثلاً لما تم في مناطق الخليج العربي، محاولتها التحايل بطلب السماح لفرقتها الكشفية بزيارة الأراضي الحجازية سنة ١٩٢٧م. الا أن الملك عبد العزيز كان يقظا ومدركا لدوافع الرحلة مما جعله يسارع الى اخطار الادارة الأمريكية برفضه التام لتلك الفكرة مضمنا ذلك في رسالة احتجاج بعث بها الى وزارة الخارجية الأمريكية جاء **«اننا نرفض أن تستخدم أرض الحجاز المقدسة لنشر المذهب المسيحي، وان حكومتي لن تتحمل أية مسئولية فيما قد يحدث لهؤلاء المغامرين من المبشرين الذين قد يدخلون البلاد بطريقة غير مشروعة لنشر تعاليم الانجيل أو محاولة الدعوة الى الدخول في الدين المسيحي»**(٤٥).

التورط السياسي للارسالية وعلاقتها بالاستعمار :

من الثابت وجود علاقة متينة بين التبشير والاستعمار. فان مجرد سماح بريطانيا للارسالية بتأسيس مراكز دائمة للارسالية الأمريكية العربية في الخليج العربي، وان تم ذلك بعد تردد في البداية خشية أن تكون مقدمة لنشاط أمريكي رسمي يهدف الى تثبيت أقدامه في المنطقة، ما كان الا بعد دراسة أكدت استفادة بريطانيا من جهود رجال الارسالية وخاصة في مجال جمع المعلومات عن الأحوال السائدة في الجزيرة. يتضح ذلك جليا من اصرار بريطانيا على أن تخضع الارسالية لها مباشرة، وتوافيها بنسخ من تقاريرها ونشاطاتها(٤٦).

ويعترف (زويمر) صراحة بأن «**الأبواب المفتوحة التي تؤدي فعلا الى الاسلام، انما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي**»(٤٧). وقد حظيت الارسالية الأمريكية بجانب الحماية البريطانية بدعم الحكومة الأمريكية ممثلا في سفاراتها وقنصلياتها مما سهل مهمتها، وذلك حسب اعتراف بول هاريسون بقوله: «مالم يحصل المبشرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فانهم لن يتمكنوا من اعلان رسالتهم المسيحية(٤٨).

ومن خلال مراجعة تقارير أعضاء الارسالية يتضح مدى تورطهم السياسي وانصرافهم عن التركيز على الجانب التبشيري، وهو هدفهم المعلن، الى تكثيف جهودهم على جمع معلومات سياسية واجتماعية واقتصادية يمدون بها حكوماتهم والتي تعتمد عليها في صياغة سياساتها تجاه المنطقة. ومن أشهر تلك التقارير، تقرير أعده بول هاريسون يحلل فيه بالتفصيل الأوضاع السياسية والاجتماعية ووضع القبائل في شرقي الجزيرة العربية وقد اختتم هاريسون تقريره بتقديم نصحه الى الحكومة البريطانية عن الكيفية المناسبة لبسط سيطرتها على المنطقة(٤٩). كما أن التقرير السياسي الذي كتبه **الدكتور لويس ديم اثر زيارته للرياض عام ١٩٢١م، وبعث به لوزارة الخارجية الأمريكية** يعطينا مثالا واضحا لتورط رجال الارسالية في المجال السياسي. وهنا تجدر بنا الاشارة الى جهل بعض أفراد الارسالية بالأوضاع السياسية والاجتماعية في المنطقة وخاصة فيما يتعلق بوسط الجزيرة العربية – يتضح ذلك جليا من تقرير الدكتور ديم المشار اليه، والذي

يصف فيه **حملة الملك عبد العزيز** ضد **ابن الرشيد أمير حائل حيث قال الدكتور ديم** : «**ان خسارة الاخوان كبيرة جدا وان حكومتهم تقريبا في حالة افلاس. ان مصير الحملة أمر مفروغ منه وسوف يتحقق ذلك خلال أشهر قلائل. واذا تحقق هذا فانه يعني نهاية نفوذ وهيبة ابن سعود الى حد كبير، وفي الوقت نفسه يعني أن شريف مكة سوف يكون في مأمن نتيجة لذلك**»(٥٠) وقد أثبتت الأحداث عكس ما توقعه ديم تماما.

وكانت وزارة الخارجية الأمريكية تعتمد على ·رجال التبشير وتحثهم على موافاتها بتقاريرهم باستمرار خاصة في تلك الفترة التي تميزت بعدم وجود نشاط دبلوماسي أمريكي متكامل في المنطقة. وقد رحب المبشرون بالقيام بذلك الدور من منطلق أن ذلك لا يتعارض مع مفهوم الوجود التبشيري فالسيدة ر. نايكرك تعترف في مقابلة لها مع **الدكتور عبد الملك التميمي** جرت في شهر **أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٤م** «**اننا أحيانا يكون لنا نشاط سياسي – لقد حاولنا أن نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا الى جانب قيامنا بخدمة الله باخلاص**(٥١)». وقد أسبغت وزارة الخارجية الأمريكية على المبشرين هالة من التقدير والأهمية حيث حرصت على اظهارهم في الصورة دائما بدعوتهم الى المناسبات الرسمية التي كانت تقيمها بعثاتها في المنطقة. فقد روى لي بهذا الخصوص الاستاذ عبد الله الشعيبي، انه خلال احدى زيارته للبحرين قام بزيارة **للشيخ عبدالرحمن القصيبي** ممثل المملكة هناك، والذي أصر عليه بمرافقته لتلبية دعوة غداء تلقاها من القنصل الأمريكي والتي ستقام على ظهر احدى السفن الأمريكية. وانه أثناء تجوالهم على ظهر السفينة وقبل تناولهم طعام الغداء فوجئوا بظهور **الدكتور بول هاريسون** فجأة والتصاقه بهم وحرصه على ملاطفتهم والاحتفاء بهم.

ان احدى نتائج تورط المبشرين في السياسة وامدادهم الحكومة الأمريكية بتقارير يغلب على معظمها الدس والتشويه ما نلمسه اليوم من تشويه لصورة العالم العربي لدى الرأي العام الأمريكي. ومن المؤسف له أن يتباهى المبشرون –وهم من يفترض فيهم كرجال دين أن يلتزموا جانب الصدق – بدورهم في التأثير على الشعب الأمريكي ورسم خاطىء للأمة العربية وحضاراتها وهذا مايؤكده جون دي نوفو بقوله : «**ان المبشرين هم المرآة التي يرى الأمريكيون من خلالها الشرق الأوسط وكانوا كثيرا ما يطلبون الدعم الدبلوماسي من الادارة الأمريكية ويحصلون عليه**»(٥٢).

فشل الارسالية ونهاية عملها في المنطقة:

بعد عمل مضن وجهد متواصل دام قرابة نصف قرن من الزمن تبين للارسالية وبوضوح تام وبخاصة منذ عام ١٩٤٠م بأن آمالها كانت مجرد سراب كاذب ولا سيما بعد اكتشاف النفط وبكميات هائلة في شرقي الجزيرة العربية، منهيا بذلك حالة الفقر والبؤس والمعاناة والتي كانت الارسالية تركز على استغلالها خدمة لأهدافها التبشيرية. وقد راقب رجال الارسالية بحسرة وأسى وذهول اكرام الله لسكان المنطقة بتدفق النفط واعتبروا ذلك بمثابة الضربة القاصمة لاستمرار نشاطهم.

ان خير مثال على عدم غبطة الارسالية أو ترحيبها بعصر النفط قد صوره لنا بول هاريسون، أحد أقطاب الارسالية في البحرين، وهو يترحم على سنوات الفقر وشح الموارد الاقتصادية التي طبعت حياة الانسان المحليين بالبؤس والمعاناة بقوله: «**ان العربي يشبه الصقر، فنحافته واستطالة جسمه القوي قد تكونت لتساعده على تحمل الاجهاد والمعاناة، وتحكي تقاطيع وجهه قصصا مليئة بشتى صور الجوع والفقر والبراءة. بكثير من اللطف وهذا ما كنا نتوقعه**»(٥٣). وقد حاول رجال الارسالية أن يعزوا فشل مهمتهم التبشيرية الى موضوع تدفق النفط وهو ما عناه بول هاريسون حينما قال في عام ١٩٤٠م «**ان قطب الحياة لم يعد مراكز العبادة ولكنها تتمركز الآن حول جهاز حفر آبار النفط**(٥٤)». وقد جانب هاريسون الصواب في اصدار حكمه هذا وذلك باتخاذه من النتائج التي صاحبت التغييرات المادية في المجتمعات الغربية مثلا يمكن تطبيقه في هذه المنطقة الاسلامية متجاهلا الاختلافات الدينية والحضارية بين المجتمعين ولا سيما وأنه قد أمضى فترة طويلة مع الارسالية في المنطقة. كما يتضح أيضا روح التبشير المفعمة بكراهية الاسلام والمسلمين والحقد عليهم وقد تجلت في صياغة ذلك الحكم والذي أصدر خصيصا لاقناع الرأي العام المسيحي لفشل الارسالية وانسحابها من المنطقة.

وبالرغم من **أهمية عامل النفط** حيث مكن الحكومات المحلية من توفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية مع توفيرها لفرص عمل هائلة الا أنه لا يمكن التسليم بأنه كان العامل الحاسم لفشل التبشير كما يزعم رجال الارسالية.

ان هناك عوامل رئيسية أفشلت محاولات المبشرين الرامية الى تنصير مسلمي الجزيرة العربية أو زعزعة تمسكهم بعقيدتهم السمحة. وأهمها العامل الديني. فتمسك المسلمين بدينهم وايمانهم القوي كان الصخرة الصماء التي تحطمت عليها آمال رجال الارسالية وجهودهم التبشيرية اليائسة. لم يغب هذا العامل عن أذهان كثير من المطلعين على خطط الارسالية منذ البداية. فقد اعترف (زويمر) بأن الارسالية تعرضت لنصح وتحذير من قبل العديدين قبل بدء عملها في شرقي الجزيرة العربية. فلقد حاول الناصحون أن يثنوا الارسالية عن تنفيذ مخططها يقينا منهم بأن عملية التبشير مجرد مضيعة للوقت والجهد في تلك المنطقة التي أكرم الله سكانها بديانة سماوية سامية ولأنهم يعبدون نفس الاله وانه من الأجدر بالارسالية توجيه جهودها نحو مناطق لاتزال تدين بالوثنية(٥٥). لكن تلك النصائح لم تلق اذنا صاغية. ثم ان لنفور السكان المحليين من التعامل مع المبشرين باعتبارهم نصارى ولاختلاف الديانة السماوية واللغة والطباع عامله المؤثر في افشال التبشير. يضاف الى تلك العوامل، الموقف الحازم **للملك عبد العزيز** والمتمثل في رفضه السماح للارسالية بتأسيس مراكز لها على أراضي المملكة والذي نتج عنه افشال مخططات الارسالية للتغلغل الى داخل الجزيرة العربية، وجعلها منطقة يحرم عليهم العمل فيها، **ولا سيما بعد استرداده للاحساء عام ١٩١٣م والتي كانت تراود رجال الارسالية الآمال في أن تكون منفذهم الرئيسي الى عمق الجزيرة العربية.**

وهكذا أجهضت تلك العوامل مجتمعة مخططات وآمال الارسالية وجعلتها تقرر رسميا في عام ١٩٤٤م تصفية نشاطاتها نهائيا، بعد أن أصيبت بخيبة أمل كبرى. ورحلت عن المنطقة وهي تجر ذيول الفشل الذريع لجهود مضنية دامت خمسون عاما ولم تسفر عن أي نجاح يذكر اللهم الا تظاهر ثلاثة أشخاص أحدهم أعمى وثانيهم كسيح وآخرهم مختل في عقله بالتحول الى المسيحية. وبذلك طويت صفحة سوداء من عمل تبشيري استعماري فشل في تحقيق أهدافه التي رسمها لنفسه منذ البداية.

● الهوامش والتعليقات ●

(*) ان استعمال كلمة (تبشير) التي روج لها الغربيون والتي يقصدون بها بث الأفكار والعقائد المسيحية لا تنطبق في اعتقادنا على نشاط الارسالية الأمريكية العربية في شرقي الجزيرة العربية لكونها منطقة أكرمها الله بالاسلام دينا، لكننا نستخدمها هنا اضطرارا لشيوع استخدامها.

(١) كمثال الدعم المادي الفردي للارسالية، أوضح تقرير رسمي للارسالية عام ١٩٢٠ بأن رجالها تمكنوا من جمع مبلغ ٣٨٨٨ دولارا في حملة قاموا بها في مقاطعةSioux في ولاية نبراسكا بالولايات المتحدة الأمريكية في حملة خططوا أثناءها لجمع مبلغ ٥٠٠٠ دولار انظر :-
Calverley Papers, Box 146, Document 69417, Box 119, Document 57615.

(٢) Joseph J. Malone, America and the Arabian Peninsula: The First Two Hundred Years, The Middle East Journal, vol. 30, No. 3. (1976) P. 412.

(٣) Anon, The Arab and his Country, (Philadelphia: the American Sunday School Union. 1847.) P7.

(٤) وفي هذا دليل على تنافس المذاهب المسحيه في ميدان التبشير وحرص كل مذهب على نشر معتقداته على حساب المذاهب الأخرى.

(٥) الدكتور عبد الملك التميمي، النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٠ ص ١٠٣.

(٦) Samuel M. Zwemer, Arabia, The Cradle of Islam (New york: Fleming H. Revell Company. 1900) PP. 376 - 377.

(٧) Ibid, P. 357.

(٨) Ibid, P. 359.

(٩) Malone, OP. Cit., P. 413.

(١٠) كان هناك خلاف مبدئي حول اختيار أول موطىء قدم للارسالية في الجزيرة العربية، فقد كان زويمر يفضل أن تكون صنعاء هي المقر الأول بالنظر لطيب مناخها وموقعها المناسب، ولذا قام بزيارتها مرتين وذلك في عام ١٨٩١ وعام ١٨٩٤م، ولكنه لمس صعوبة العمل مع وجود الحكم العثماني.

(١١) Malone. Op. Cit., P. 413.

(١٢) Zwemer, Op. Cit., P. 389

(١٣) التميمي المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٤) المصدر السابق ص ١٠٤.

(١٥) Zwemer, Op. Cit., P. 192.

(١٦) Ibid. 362.

(١٧) Ibid. 364.

(١٨) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(١٩) Zwemer, Op. – Cit., P. 383.

(٢٠) Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, (New York: John Day: 1940). P. 277.

(٢١) Calverley Papers, Box 149 Document 69835.

(٢٢) Zwemer, Op. Cit., P. 114.

(٢٣) Ibid. P. 133.

(٢٤) Ibid. P. 68.

(٢٥) اطلق لقب الملك على السلطان عبد العزيز وذلك قبل أن يتلقب بهذا اللقب رسميا بعد توحيد المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢م. ومرد ذلك الى أن البحث يشمل الفترة ١٨٤٧ – ١٩٤٤م.

(٢٦) يقوم مكانه حاليا فندق الحرمين.

(٢٧) أكد لي ذلك أكثر من مصدر وخاصة فضيلة الشيخ يوسف المبارك والشيخ أحمد الملا وهما من المهتمين بتاريخ المنطقة وممن يعتمد عليهم في ذلك. وقد قابلتهما في ١٠ / ١٠ /١٩٨١م.

(٢٨) روى في ذلك الاستاذ / ابراهيم بن عبد الرحمن الشعيبي مدير مدرسة الملك فيصل. أثناء مقابلتي له في ٨ /١٠ /١٩٨١م.

(٢٩) Malone, Op. Cit. P. 407.

(٣٠) كانت نسخ الانجيل تأتي من مطابع البعثات التبشيرية في كل من مصر وسوريا.

(٣١) Malone, Op. Cit., P. 414.

(٣٢) Calverley Papers, Papers, Box 149, Document 69835.

(٣٣) Zwemer, Op. P. 365.

(٣٤) Calverley Papers, Box 146, Document 69417.

(٣٥) Zwemer, Op. Cit., P. 366.

(٣٦) Malone, Op. Cit., P. 414.

(٣٧) Ibid.

(٣٨) Zwemer, Op. Cit., P. 384.

(٣٩) Ibid.

(٤٠) Ibid.

(٤١) الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية. الطبعة الخامسة (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٣)، ص ٦٢٠.

(٤٢) تكرز بمعنى تغط.

(٤٣) الخالدي وفروخ، المصدر السابق، ص ٦٢ – ٦٣.

(٤٤) سمعت هذه الرواية من أكثر من مصدر. وعند سؤالي للشيخ يوسف بن راشد المبارك – وهو مؤرخ ثقة – أكد لي بأنه سمع بنفس الرواية.

(٤٥) Foreign Relation .... 1928, P. 63.

(٤٦) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٤٧) الخالدي وفروخ، المصدر السابق ص ١٤٦.

(٤٨) التميمي، المصدر السابق، ص ١١٠.

(٤٩) المصدر السابق ص ١٠٩.

(٥٠) Calverley Papers, Box 146. Document 69833.

(٥١) التميمي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٥٢) المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥٣) Paul W. Harrison, The Arab at Home, (New York: Crowell, 1924) P. 8.

(٥٤) Paul W. Harrison, Doctor in Arabia, P. 300.

(٥٥) Zwemer, Op. Cit., PP. 391 - 392.